

هكذا تكلم زرادشت "لنيتشه: تقاطع الشعر والفلسفة في بناء المعنى"

"Thus Spoke Zarathustra" by Nietzsche: The Intersection of Poetry and Philosophy in the Construction of Meaning

د- شرواق أحمد، جامعة مستغانم، الجزائر cherouag2018ahmed@gmail.com

د- كرايس الجيلالي ، جامعة وهران 02، الجزائر kerais2014@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2025-06-30	تاريخ القبول: 2025-06-01	تاريخ الإرسال: 2025-05-09
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

سعى هذا المقال إلى تسليط الضوء على توظيف نيتشه للأسلوب الأدبي، عبر اللغة الرمزية والشعرية، كوسيلة لتمرير أفكاره الفلسفية العميقة وقد بينا كيف أن نيتشه لا يقدم فلسفته في هكذا تكلم زرادشت بطريقة تقليدية أو منهجية صرفة، بل يدمجها في نسيج أدبي يستفز وعي القارئ ويدفعه إلى التأمل والتساؤل. كما تناولنا أبرز المفاهيم التي يطرحها نيتشه من خلال لغته الأدبية المكثفة، مثل: "موت الإله"، "الإنسان الأعلى"، و"العود الأبدي"، مبرزين التكامل الوظيفي بين الأدب والفلسفة، حيث يؤثر الأدب الخطاب الفلسفي بلغة حافلة بالرموز والدلالات، فيما تمنح الفلسفة للنص الأدبي عمقاً دلاليًا وتأمليًا. وقد توقفنا كذلك عند استلهاهم نيتشه للتراث الأسطوري، خاصة الفارسي واليوناني، كوسيلة لإيصال رؤيته الفلسفية، مما يجعل من هكذا تكلم زرادشت عملاً يتجاوز التصنيفات، فهو ليس مجرد نص أدبي، بل خطاب فلسفي تثير يدعو إلى مراجعة القيم السائدة وتأسيس رؤية جديدة للإنسان والعالم.

الكلمات المفتاحية:

الأدب والفلسفة ، الرمزية الشعرية ، موت الإله ، الأساطير .

Abstract :

This article aimed to highlight Nietzsche's use of literary style through symbolic and poetic language as a means of conveying his profound philosophical ideas. We pointed out that Nietzsche does not present his philosophy in *Thus Spoke Zarathustra* in a traditional or academic manner; rather, he weaves it into a literary fabric that provokes the reader's consciousness and invites contemplation and questioning.

We also examined how Nietzsche employs literary language to embody concepts such as "the death of God," "the Übermensch (Overman)," and "eternal recurrence." The focus was on the functional integration between literature and philosophy, where literature enhances the power of philosophy through linguistic richness and symbolism, while philosophy lends depth and reflective meaning to literary expression.

Through this work, we also shed light on Nietzsche's engagement with myth and classical literature, especially Persian and Greek traditions, as a vehicle for expressing his ideas. This reveals that *Thus Spoke Zarathustra* is not merely a literary work, but a philosophical manifesto that challenges prevailing values and calls for the construction of a new vision of humanity and the world.

Keywords: Literature and Philosophy, Poetic Symbolism, The Death of God. Myths.

مقدمة:

في الحقيبتين الهيلنستية والرومانية كانت الفلسفة طريقة للعيش (أسلوب حياة) ليس معنى ذلك بأنها كانت نوعاً محدداً من السلوك الأخلاقي... إنما يعني أن الفلسفة كانت طريقة وجود في العالم، تلك الطريقة التي تتعين ممارستها في كل لحظة، وكان هدفها أن تحول حياة الفرد بأكملها" (أدو، 2023، صفحة 244) إذ يبدو جلياً من خلال هذه المقولة بأن الفلسفة في تلك الحقبة لم تكن تبحث فيما يجب أن يكون بمعزل عن الفرد، بل كانت تسعى إلى تقديم حلول لكل مرحلة يمر بها الفرد أو المجتمع، وذلك عن طريق تقديم وصف واضحة وجزلية لكيفية تحول الإنسان من حال إلى حال، عن طريق تبني ما يمكن أن يساعده في الوضع الجديد والتخلص مما أصبح قديماً أو غير قادر على التكيف مع الوضع الجديد، ولذلك كانت الفلسفة أسلوباً للوجود ولتنظيم الحياة واختيار ما يزيح الغموض عن الإنسان، كل ما شعر هذا الإنسان بنوع من التيه، حيث يقال: "بأن الفلسفة قد نتجت عن هموم الإنسانية وتهدف إلى الاهتمام بالأحوال الإنسانية عموماً... فالفلسفة دوماً يجب عليها الارتباط بأزمات الإنسان ومشكلاته" (دوي، 2010، صفحة 21) وربما لا داعٍ للتذكير بأن الفلسفة هي حب الحكمة وطلبها والسعي إليها، وبذلك هي بدون أدنى شك تهدف إلى الحد من الأزمات سواء في طابعها المادي أو الروحي، فكلما أقحم الإنسان نفسه في أزمة ما، جاءت الفلسفة لتفكك تلك الأزمة وتجد لها مخرجاً وفي نفس الوقت تساعد الإنسان على أن ينجو بنفسه وأن يستعد للتغيرات القادمة، فغالبا ما يستشف الفلاسفة ما هو قادم وبذلك هم أقل الناس فزعا من التغيرات وهم الذين أيضاً يساعدون الإنسان على تقبل التغير فهم دائماً ما يتحدثون عن ذلك الزمن القادم بفطنة وحذاقة منقطعة النظير إذ يقول هيرقليطس: "كل شيء يجري ويتبدل، وحتى في أشد الأشياء سكونا، يوجد سيلان وحركة... ومن خلال الصراع تنشأ جميع الأشياء ... والحرب هو أبو جميع الأشياء ومليكه" (ديورانت، 1994، صفحة 11) فادراك سيولة العالم وغياب الوضوح وتحمية التغير والتبدل تجعل الفيلسوف أقدر الناس على فهم الحياة، وبذلك تصبح الحياة فلسفة، هي ذلك الخيار الذي لا بد منه حتى نكون مستعدين على دوام لفهم ما يحيط بنا.

فالفلسفة إذن هي طريقة عيش في مرحلة ما وفي نفس الوقت هي استعداد للانتقال لمرحلة جديدة، وبذلك لكل فلسفة عصرها ولكل عصر فلسفته وفلاسفته، "فالفلسفة إذن طريقة حياة، سواء في ممارستها وسعيها لتحقيق الحكمة، أو في هدفها أي الحكمة نفسها. ذلك فإن الحكمة الحقيقية لا تؤدي بنا إلى أن نعرف فحسب، بل إلى أن نكون أو نوجد بطريقة أخرى" (أدو، 2023، صفحة 244) وهذا هو دور الفيلسوف الذي يكتب لكي يخبرنا بأننا في رحلة مستمرة نحو البحث عن الحكمة وترصيع الحياة بها، لكن ليس هناك حكمة

لكل عصر بل لكل عصر حكمته ومهمة الفيلسوف هي نقد حكمة عصره والتبشير بحكمة عصره بل لن يكون موجودا فيه، عن طريق الاستقراء والبحث وأحيانا عن طريق تحويل الفلسفة إلى نص أدبي والاعتماد على غزارة المعنى التي تحملها اللغة، وربما هذا التنوع من الفلسفة قد سبق إليه بوثيوس في كتابه عزاء الفلسفة حيث قدم نصا أدبيا لكنه في نفس الوقت يمثل نصا فلسفيا يكتنفه الغموض ويصعب الفصل بين جانبه الأدبي وجانبه الفلسفي حيث يقول أحمد عتمان في تقديمه لهذا الكتاب: "هذا الشكل الأدبي أكثر إثارة للدهشة فهو ليس رسالة، ولا هو مقالة، ولا هو دراسة، أو مجرد تأملات... فمن الخطأ أن ننسب عزاء الفلسفة إلى شكل أدبي واحد دون أن ننفي تأثيره بالأشكال الأدبية جميعا" (بوثيوس، 2008) ودون أيضا أن نثبت له عمقه الفلسفي فالكثير من الفلاسفة يكتبون الأدب فلسفة ويكتبون الفلسفة أدبا ومن بهم المطرقة نيتشه، خاصة في بعض نصوصه التي يجمع فيها بين غزارة المعنى الأدبي وبين العمق الفلسفي مثل كتابه هكذا تكلم زرادشت.

لقد كتب نيتشه في هكذا تكلم زرادشت لا كفيلسوف فقط، بل ككائن مبدع يسعى إلى تحويل الفلسفة إلى حياة، وإلى جعل الأدب ليس مجرد أداة للتعبير، بل وسيلة لفهم أعمق للوجود. في هذا العمل، إذ لا يمكننا الفصل بين الأدب والفلسفة؛ لا سيما من حيث الغزارة اللغوية والفلسفة تمد النص الأدبي بنوع من النضج والتشويق والأدب يزود الفلسفة بمصطلحات تقترضها منه لكنها تحولها إلى مفاهيم ينحتها الفيلسوف ويضمونها حكمته ومعرفته وتجاربه، ولذلك تصبح مصطلحات اللغة العادية إذا تم غمسها في الفلسفة دعوة للتفكير أو نوعا من الإستفزاز: "ففي مختبر الفلسفة يستفز الجمهور للتفكير والمناقشة والتفكير بشأن قضية نختارها معا" (آخرون، 2023، صفحة 47) فالفيلسوف لا يقول الكلمات مثل ما نقولها ولذلك يجعل منها موضوع للبحث والتأمل، فهو أديب ولكنه يستعين بجماليات النص الأدبي وفي نفس الوقت يضفي عليه عمقه الفلسفي، وهنا نجد أنفسنا أمام تداخل ساحر يجمع بين الفكر العميق والأسلوب الأدبي الرفيع.

وبذلك يصبح نص هكذا تكلم زرادشت ليس مجرد نص أدبي أو فلسفي بمعناه التقليدي، بل هو دعوة للتفكير العميق في مسائل الإنسان، الأخلاق، والقيم. إذ يستخدم نيتشه الأدب لتمثيل أفكاره الفلسفية، ويعتمد إلى الأسلوب الرمزي والشعري ليعكس صراعاً داخلياً بين القديم والجديد، بين العادات الثابتة التي تحد من إمكانيات الفرد وبين السعي نحو التحرر والتجاوز وهو بذلك يكرر مأساة بوثيوس الذي كتب عزاء وهو ينتظر تنفيذ حكم الإعدام إذ يقول: "الكتابة أثناء العد التنازلي للأجل المحتوم... هي كتابة أخرى. الغناء على إيقاع خطوات الموت الحثيثة المقترية... هو غناء مختلف" (بوثيوس، 2008، صفحة 24) وكلذ نيتشه كتب وهو يقف بين عصرين عصر قديم بكل روحانياته وعصر حديث بكل عقلانيته، وفي هذه الورقة البحثية

سوف نستعرض كيف يمتزج الأدب والفلسفة في هذا الكتاب، وكيف يعمل نيتشه على استخدام الأسلوب الأدبي ليحول المفاهيم الفلسفية المجردة إلى تجارب إنسانية عميقة. كما سنناقش دور الرمزية واللغة الشعرية في نقل أفكار مثل "موت الإله"، "الإنسان الأعلى"، و"العود الأبدي"، وكيف يعزز الأدب من قوة تأثير هذه الأفكار وبناء على هذا فإننا ننطلق من الإشكال التالي: كيف يساهم التداخل بين الشعري والفلسفي في نص "هكذا تكلم زرادشت" لنيتشه في إنتاج المعنى وبناء رؤيته الوجودية؟

1/ الأدب كوسيط لنقل الفلسفة:

يشير أرنست كسيرر إلى الانقلابات التي حدثت قبل منتصف القرن الثامن عشر، هذا الأخير الذي اعتبر عصر الفلسفة كما يحب هذا العصر أن يسمي نفسه، لكن هناك تحولات عميقة جاءت قبل هذا العصر بداية من النهضة الأدبية التي عرفها القرن الخامس عشر وهي حركة عقلية عرفت بالنهضة وما تلاها من إصلاح ديني في القرن السادس عشر، لتنتصر بعد كل هذا وفي القرن السابع عشر فلسفة ديكارت التي غيرت صورة العالم تغييراً حاسماً" (كاسيرر، 2018) وبذلك يمكن القول بأن جذور التنوير كانت أدبية حيث كان النص الأدبي حاملاً للتغيير ومتمرداً عن النص الديني وساعياً إلى تجديد الفكر، ولذلك بقي الفلاسفة أوفياء للنص الأدبي ولا يمكن أن تكون لدينا فلسفة عميقة وقادرة على التأثير دون أن يكون فيها نتفات أدبية، فكثيراً ما يطرح الفلاسفة أفكارهم عن طريق النص الأدبي وعن طريق اللغة، التي تعتبر حاملة الأدب والمبشرة به، "ولذلك هناك رأي القائل بأن اللغة تعكس خصائص الأمة النفسية، هو رأي مقبول لدى الجميع حسب فرديناند دوسوسير" (أولندر، 2016، صفحة 39) ودوسيسير ممن يشهد لهم في اللغة وفي اللسانيات الحديثة وفي اللغويات عامة، وهو يقرب بأن اللغة هي حاملة الثقافة وبذلك حاملة الفلسفة التي ما هي إلا تركيز لثقافة المجتمع واختصار لها في مقولات قابلة للحياة وقادرة على استيعاب الحياة ككل، فحسب روجي غارودي فإن إعلان نيتشه عن موت الله، لا يمكن النظر إليه كتعبير عن الموت الفعلي لله بقدر ما هو تعبير عن دخول عصر وحدة الإنسان في هذا العالم ويفهم منه أيضاً نفي الغيرية (غارودي، 1979، صفحة 05) وهي الفلسفة التي سيكون لها تأثير كبير في الفترة المعاصرة على حياة الإنسان، وهنا كانت اللغة والأسلوب الأدبي سبيلًا لتعبير عن معاني مختلفة، فالنص إذا ما قرأ أدبياً فإن لها دلالات ومعاني أما إذا قرأ فلسفياً فإن له معاني أخرى ووظيفة أخرى، وربما هذا ما أشار إليه أرسطو عندما قال: "الوجود يقال بأوجه عديدة" (ريكور، 2009، صفحة 57) وهنا يبرز دور اللغة وأهميتها في مختلف النصوص سواء الأدبية أو الفلسفية أن لا مجال لقول الفلسفة دون وعاء أدبي يعبر من خلاله الفيلسوف عن أفكاره ويطرحها، وهذا ما وظفه نيتشه في أحد أعماله الخالدة هكذا تكلم زرادشت.

أ/ اللغة الرمزية والشعرية:

يقول مريس اولندر: "إن كل الدلائل تؤكد أن اللغة تعبر عن طبيعة الشعب الناطق بها" (أولندر، 2016، صفحة 38) إن غزارة ما تشير إليه هذه المقولة يفهم منه بأن اللغة ليست سوى تعبير عن عقلية المجتمع الناطق بها، وكذلك هي الأداة التي سيفكر بها ذلك المجتمع وهي في النفس الوقت الوسيلة التي سيكتب بها مؤرخو ذلك العصر وأدباءه ونقادهم وفلاسفتهم وهذا ما سنجد مدموغا في كتاباتهم، التي ستعبر بدون أدنى شك عن الوضع القائم وعن الوضع الذي يجري التحضير له ومحاولة المرور إليه، وهذا ما يتجلى في مؤلف هكذا تكلم زرادشت لنيتشه، الذي عاصر لحظة فارقة من تاريخ أوروبا وهي تنتقل من الماضي الروحاني وتدخل عصر العقل المادي، ولذلك سنجد كتابته توظف أسلوباً أدبياً غير مباشرة يتطلب قارئاً فذا وحاذقاً حتى يفهم ما يرمي إليه نيتشه في كتابته، حيث المعنى الكثيف والمتأثراً بما يدور حوله من صراعات ستحدد مصير أوروبا والغرب والعالم ككل، فمثلاً فكرة موت الله التي طرحها نيتشه بكل فظاظة وغلظة لا تعني التخلي عن الله بل تعني تشكل معنى آخر عنه وهذا ما ذهب إليه المتصوفة المسيحيون وحتى بعض المسلمين إذ يقول البروفيسور أبراهام ولف في مقال له في دائرة المعارف البريطانية: "وحدة الوجود في الفلسفة واللاهوت تعني النظرية التي تقول إن الله هو كل شيء وكل شيء هو الله. فالكون ليس خلقاً متميزاً عن الله... فالله هو الكون والكون هو الله..." (ستيس، 2023، صفحة 224) وهو نفس ما ذهب إليه نيتشه في مقولته الشهيرة حيث كثافة المعنى وغزارة اللغة، إذ أن نيتشه لم يهاجم الدين أو إله اللاهوت بقدر ما هاجم بلغة ساخرة وناقدة المشرفين على اللاهوت أو من يعتبرون أنفسهم ترجماناً بين النص وبين المتلقي، فهم يحتكرون حق قراءة النص وفهمه ولذلك حاول نيتشه بأسلوبه العنيف أن ينهي تلك الوساطة ويجعل النص متاحاً للجميع، فهو من خلال فلسفته هاجم سلطة اللغة وليس سلطة النص أو قدسية الدين، وهنا نعود إلى ما ذهب إليه نورمان فيركلاف، "كيف تبيننا الاصفاد التي كبلتنا بها التقاليد، فإننا إذا استطعنا أن نتبينها استطعنا أيضاً أن نكسر ها" (فيركلاف، 2016، صفحة 15) ولذلك كانت لغة نيتشه عنيفة وصريحة وواضحة في نقد التقاليد والتبشير بتقاليد جديد، فنيتشه يستخدم لغة أدبية مكثفة مليئة بالصور البلاغية والتشبيهات. وعلى سبيل المثال عندما يقول: الله قد مات! ونحن قتلناه! كيف نعزي أنفسنا، نحن قتلة القتل؟" هذا التعبير ليس مجرد إعلان فلسفي عن "موت الإله" بمعنى زوال القيم المطلقة، بل هو صرخة إنسانية تعبر عن فراغ وجودي وعاطفي يحتاج إلى تعويض. فاللغة هنا تضيف بُعداً درامياً وشعورياً يجعل القارئ يتفاعل مع الفكرة وينخرط فيها وجدانياً.

فاللغة التي وظفها نيتشه في الحديث عن مأساة موت الله وقد استعمل هذا التعبير المستفز ليشير بكل وضوح إلى العصر الجديد، الذي سيصبح فيه الله والعقل شيئاً واحداً، وهي النزعة التي بدأت تهيم على الفكر في عصر أوج انتصارات الحداثة وخطابها المعادي للنص الديني أو للإنسان الديني إن صح التعبير، حيث "أصبح العقل النقطة الوحيدة والمركزية، وصار تعبيراً عن كل شيء يتوق إليه الإنسان ويسعى إلى تحقيقه" (كاسيرر، 2018، صفحة 44) فنيتشه يريد أن يعلن عن نهاية عصر وبداية عصر آخر، وهو عصر سيكتب وصاياه بنفسه وهي طريقة جديدة وفلسفة جديدة حيث أن المجتمعات البشرية تعودت على أن تصلها الوصايا من العالم الفوقي أو من العالم المتسامي، لكن العصر الجديد الذي يبشر به نيتشه هو عصر يكتب وصاياه بنفسه وهذا ما أشار إليه من خلال نص الوصايا القديمة والجديدة حيث يقول: "ها أنذا جالس بين ركام الألواح القديمة وبين الألواح الجديد، ولما تستكمل كتابة الوصايا عليها" (نيتشه، 2014، صفحة 235) وهنا نجد أنه يقتبس بطريقة مبدعة من النص التوراتي والألواح التي كتبت عليها الوصايا العشر، وفي نفسي الوقت يبشر بنهاية عصر الوصايا الجاهزة، إنه يخبرنا بأننا في عصر الإنسان الذي سيكتب وصاياه بنفسه بعد أن وصل إلى مستوا من المعرفة والقدرة على التصرف خارج كل ما هو جاهز وموجه للاستهلاك، فحتى على المستوى الفكري فإن الإنسان الحديث سيستهلك فكراً ما ينتجه هو، وليس ما يقدم إليه حتى وإن كان من مصدر متعالي، إذ يضيف ويقول: "عندما أتيت إلى هذا العالم وجدته جالسا على افتراضات قديمة، وثاقاً أنه عرف كل شيء ويميز بين خير الحياة وشرها" (نيتشه، 2014، صفحة 235) فنيتشه وعلى لسان زرادشت يعلن الثورة على كل شيء ويعلن بأن لا شيء مكتمل ولا شيء متفق عليه حتى تلك الوصايا ذات البعد المتسامي، فكل شيء سيعاد النظر فيه، فلا خير مطلق ولا شر مطلق، وهنا نجد تلك النصوص الأدبية التي يحكمها المطرقة نيتشه على لسان شخصية زرادشت تشير إلى فلسفة هذا العصر وهي فلسفة تراجع الدين وطغيان الإنسان العارف والمدرّك والساعي إلى إعادة ترتيب كل شيء وفق إدراكه.

ب/ الشخصيات أسطورية ووقائع رمزية:

يقول فراس سواح: "الأسطورة تربط بين العالم الدنيوي والعالم المقدس" (السواح، 2001، صفحة 15) فلا شك أن الأسطورة ضرب من ضروب الأدب وهي قصة تحكي وقائع حدثت فعلاً لكن لا دليل على حدوثها ولا جدوى من البحث عن حقيقة حدوثها، فهي أسلوب أدبي الغرض منه الامتناع والحديث عن الغرائب والعجائب، وهي دائماً تشير إلى صراع الخير والشر، وغالباً ما تنتهي بانتصار الخير، ولذلك ورغم عجائبية الأسطورة وغرائبيتها إلا أن لها جمهوراً واسعاً، وهي أيضاً غنية بالحكمة وهذا ما تصبو إليه الفلسفة، ولذلك وظف نيتشه شخصية زرادشت وهي شخصية فارسية قديمة قد جمعت بين ما هو

أسطوري وما هو واقعي ونسجت حولها العديد من القصص والتي حاول من خلالها نيتشه الانتصار للحكمة لكن في جانبها الإنساني، أي الترويج لمفهوم الإنسان الأعلى أو الإنسان الرمز، الذي يمكن أن يكون مصدرا للحكمة والمعرفة بعيدا عن مفهوم الإله الخالص، الذي لا شك في حكمته ومعرفته، لكن الإنسان خاصة في عصر ما قبل التنوير، هو رمز للقصور والنقص، ولذلك حاول نيتشه تقديم نصه من خلال شخصية أسطورية لكن لها جانب إنساني، وبذلك الحديث عن عصر الإنسان الخارق الذي قد حقق المعرفة ويمكنه أن يكون مصدرا للمعرفة وهنا يصف نيتشه شخصية زرادشت فيقول: "زرادشت هو أكثر مصداقية من أي مفكر آخر، فتعاليمه، وتعاليمه وحدها تعتمد الحقيقة قيمة أعلى، بما يعني أنها النقيض لجبن المثاليين الذين يعمدون إلى الهروب من الحقيقة" (نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 05) وفي هذا التعريف نقد مبطن للنص الديني الذي يعتبر مثاليا وينطلق من وقائع يعتبرها نيتشه غير حقيقة وبذلك ينهي إلى أحكام غير واقعية، بينما شخصية زرادشت الأسطورية قد انطلقت من الواقع وشرحته وكتبت عنه وبذلك كل ما توصلت إليه هو واقعي وحقيق وقد وقع فعلا، حيث يضيف نيتشه قائلا: "زرادشت يمتلك من الشجاعة ما يفوق شجاعة كل المفكرين مجتمعين. التكلم بالحقائق واتقان الرماية تلك هي الفضيلة الفراسية" (نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 05) وهنا نجد الرماية التي يتحدث عنها نيتشه هي رامية الفكر وتقديم الأفكار الجديدة والتشخيص المناسب للوقائع وهو ما جعله يتخذ من شخصية زرادشت مرجعية لها في الكتابة والتعبير عن حكمته أو فلسفته إن صح التعبير.

فزرادشت هو شخصية رمزية تحمل رسالة فلسفية. ومن خلاله، يعبر نيتشه عن مفهوم الإنسان الأعلى، الذي يُعتبر هدفاً سامياً لتطور الإنسان، ولإنتاج الفلسفة التي تعتبر بديلا للنص الديني وتعويضاً عنه وهي تمثل نصوصاً تضاهي الدين في كمالها وجودتها وقدرتها على فهم الحياة وتقديم حلول لمعضلاتها لكنها حلول أرضية ينتجها ذلك الإنسان العارف الذي استطاع أن يدرك كنه الإله وأن يحاكيه في تقديم تصورات تشير إلى مصدر أعلى، حيث "لا يمكن الوصول إلى المعرفة الفلسفية الحقيقية إلا إذا نجح التفكير المنطلق من وجود أعلى، ومن يقين أساس أعلى مستمد من الحدس..." (كاسيرر، 2018، صفحة 44) أي من حكمة ومعرفة ينتجها الإنسان دون حاجة إلى مصدر غير إنساني، وذلك لن يكون إلا عن طريق التمرد على التقاليد والسائد وعلى الدين بوجه الخصوص، إذ يقول زرادشت في إحدى المقاطع: "أقول لكم: يجب أن تحملوا الفوضى في أنفسكم لتلدوا نجمة راقصة" (نيتشه ف..، 2017، صفحة 57) وهنا يتم التعبير عن فكرة فلسفية عبر صورة أدبية شاعرية؛ فالفوضى تشير إلى التحديات والصراعات التي تقود إلى الإبداع والتحول، والنجمة الراقصة تشير إلى الحرية والتحرر والسمو والتعالي، فالنجوم توجد في أعالي السماء وهي تشرق بضوئها وكأنها ترقص دون أي حسيب أو رقيب، وهو ما يبشر به نيتشه ويستشرف حدوثه، عصر سيكون فيه

الإنسان سيد نفسه ومصيره، وسيتحرر فيه من كل القيود، وهذا ما ينقله على لسان زرادشت أيضا إذ يقول: "...وأمرت الناس بأن يهدموا كل قديم، وأن يقفوا أمام كل عقيدة هرمة ضاحكين مستهزئين بمعلميهم وقدسيهم، وشعرائهم ومخلصي عالمهم" (نيتشه ف..، 2017، صفحة 235) وفي هذه المقولة ينتصر زرادشت ومن خلاله نيتشه للحرية التي يجب أن ينعم بها الإنسان بعد أن يتخلص من كل ما هو متعالٍ ويمارس سلطة عليه، وفي نفس الوقت هذه المقولة تعكس بعدا أدبيا يميل إلى الأدب الساخر ولعابث، حيث ينال نيتشه من كل مقدس في المجتمع ويدعو إلى هدمه وتجاوزه، وفي نفس الوقت يؤسس لنوع جديد من الإيمان وهو إيمان الإنسان بذاته والانتصار لها.

إن الإيمان بالذات هو الدين الجديد الذي يستشرفه نيتشه من خلال نص هكذا تكلم زرادشت، وهو إيمان يعادل الإيمان الديني لكنه موجه من الإنسان نحو الإنسان بعد أن استرجع الإنسان عافيته وأصبح يشكل مصدرا موثوقا فيه للمعرفة والحكمة، إذ أن "المعنى الأساسي للإيمان هو الثقة" (فوكنر، 2022، صفحة 483) وبذلك كل ما نثق فيه يمكن أن يشكل حالة من الإيمان ولذلك يعمل نيتشه من خلال فلسفته على أن يجعل الإنسان الأعلى رمزا للثقة بيصبح حكيما وقادرا على فهم العالم المحيط به والعوالم التي تبدو له وحده وهي تتشكل رغم أنها لم تتشكل بعد ولكن حكمته ومعرفته تجعله يستشرف ذلك القادم من بعيد، حيث يقول في إحدى نصوصه: "أنتم تنظرون نحو الأعلى عندما تبحثون عن السمو، أما أنا فأريد أن أنظر إلى الأسفل لأنني أبحث عن جذور الإنسان الأعلى" (نيتشه ف..، 2017، الصفحات 42، 45) إنها دعوة صريحة للقطيعة مع الدين ومع المصدر المتعالي من خلال نصوص تبدو أدبية أو عابثة ولكنها تحمل مرامي فلسفية عميقة تستشرف عصرا جديدا يصبح فيه الإنسان بتركيبته الطينية والدينيوية مصدرا للعلو، وربما هي حكمة الفيلسوف التي تجعه يرى الأمر بمنظار النضج والوعي، وكل فلسفة تعني بالنضج استقلال الإنسان بعقله وتخلصه من كل المعارف المتسامية وربما نجد بوثيوس في عزاءه قد عبر عن هذه الحالة، "حيث كان العزاء آخر ما كتب هذا الرجل المسيحي المؤمن بعقيدته المسيحية، لكنه كتب نصا لم يشير فيه البتة إلى عقيدته المسيحية بل ركز كل جهده على التراث الكلاسيكي الوثني" (بوثيوس، 2008، صفحة 18) وكأن الإنسان في آخر حياته ينتصر للإنسان ويتخلص من كل ثقل ديني، وهذا حاول نيتشه التعبير عنه في نص هكذا تكلم زرادشت، وهو يصف حالة الصراع بين زمنيين وبين ارادتين وبين حكمتين وذلك من خلال نص الأختام السبعة أو نشيد نعم أمين إذ يقول: "إذ كنت رائيا وممئلنا بتلك الروح المتنقلة بين شعب مرتع بين بحرين، مثل سحابة ثقيلة تمضي بين ما ممضى وما هو آت، عدوا لكل الأودية الرطبة الخائقة وكل ما هو متعب لا هو يستطيع أن يموت ولا هو قادر على الحياة" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 429) إن هذه المقولة مفعمة بالشاعرية وكان نيتشه هنا يكتب قصيدة نثرية ويعبر عن حالة عاطفية، لكن

في واقع الأمر هو يكتب حول سؤاله الفلسفي الذي يدور حول أفول زمن الدين وبزوغ زمن العقل أو زمن الإنسان الأعلى، وهو يتحدث عن هواجس ذلك الانتقال والعبور، فرغم قيامة الإنسان إلى أو الرمز، لكن الإنسان الديني الخاضع للدين وللتقاليد القديمة يرفض أن يموت أو أن ينحصر بشكل نهائي وهي حالة الصراع التي ستحكم العلاقة بين الدين والعقل، وبين الإله وبين الإنسان الأعلى منذ عصر نيتشه وإلى هذا اليوم، ولذلك تبدو فلسفة نيتشه ضرباً من ضروب الأدب حيث اللغة في نصه تجمع بين الرؤية الشعرية والدعوة الفلسفية لتجاوز الأخلاق السائدة والبحث عن قيم جديد.

وهنا يمكن القول بأن نص هكذا تكلم زرادشت هو نص تم التوفيق فيه بين الخطاب الفلسفي العميق والناقد والثائر على الوضع القائم والمنتش بتدشين عصر الإنسان الأعلى حيث لا مزيد من الوصايا الجاهزة، بل كل الوصايا ستكتب على الأرض وسيكتبه ذلك الإنسان الذي لم يعد بحاجة إلى العناية الإلهية، فقد تحرك فيه العقل ونضج وأصبح قادراً على العشي فلسفة لا إيماناً، ولذلك استعان نيتشه بلغة أدبية ثرية وغزيرة ومرتكزة على المعاني والأساليب الأدبية الجمالية، حيث مزج بين عقلانية الفلسفة وحكمتها وغرائبية القصة أو الأسطورة وعجائبيتها مستعيناً باللغة التي لديها القدرة على التوفيق بين هذين الغرضين، عن طريق مخاطبة العقل بحكمة الإنسان الخالص قبل أن يعرف الدين ويعرف الإله الكبير.

2/ الفلسفة كمحتوى للأدب:

يقول كورين إندو: "الفلاسفة أشبه ما يكون هؤلاء المجانين الثرثارين الذين تحملهم الإنسانية معها خلال تاريخها من دون ربح ومن دون خسارة كبيرة أيضاً... فهم يملكون قدرة كبيرة على تأويل العالم غير أنهم يظلون جاثمين على عتبته عاجزين عن تغييره" (ليوتار، 2017، صفحة 05) إن هذا المقولة تبدو قاسية في حق الفلسفة وفي حق الفلاسفة الذين يعتبرون المزودين الوحدين للعلم بوقده، وهي الأسئلة، فلكل فيلسوف سؤال محوري في حياته يطرحه ربما في بداية مشواره لكنه سيظل يعمل على الإجابة عليه حتى نهاية حياته وربما سيخلفه إرثاً معرفياً لجيل من التلاميذ الذين كونهم وجعل من سؤاله ذلك هاجساً لهم، لكن رغم ذلك يعتبر إندو أن الفلاسفة ليس لهم قدرة على التغيير، بل الثثرة فقطن وإذا أدركنا أن كون منصفين في حقهم، فهم ينتجون نصوص أدبية وليست علمية بالمعنى الأبيستمولوجي المعاصر، فتأملاتهم وأسئلتهم التي يطرحونها غالباً ما تكون نتيجة العزلة والابتعاد عن العالم، وبذلك هم يصنعون عالهم الخاص ويكتبون حوله، وبذلك يكون الأدب وأساليبه هي الطريقة التي يعبرون بها عن هواجسهم لا البحث العلمي ونتائجه الدقيقة، وربما

هذا ما مميز مسيرة نيتشه حيث ينقل فريدريك غرو عن نيتشه أنه "كان كل ما زادت عزلته كل ما زاد تعمقه في حريته فلا يحتاج إلى تبير أي شيء، فلا توجد تسوية تقف عقبة في طريق الرؤية الواضحة والمكشوفة" (غرو، 2021، صفحة 17) إذا فما كتبه نيتشه هو نتيجة عزلته والتي أتاحت له فرصة أن يرى بأكثر وضوح وأن يسعى إلى التغيير بأكثر عمق.

ويتضح من خلال هذا بان فلسفة نيتشه لم تكن نتيجة دراسة علمية إنما نتيجة تأملات عقلية ولذلك كانت اللغة والأساليب الأدبية هي الحاملة لتلك الفلسفة والمبشرة بها عن طريق نصوص تمزج بين القصة والاسطورة والخيال كل هذا مغلف بغلاف الفلسفة والحكمة والبحث عن الحرية والتحرر من الواقع والبحث عن واقع جديد بتقاليد جديدة، ولذلك حتى نفهم نيتشه علينا ان نفهم اللغة الأدبية التي كتب بها، إذ "أن اللغة في نظرها رديهي الشاهد المميز على نمو الفكر البشري ومستودع الكشوفات الحضارية" (أولندر، 2016، صفحة 36) ولدراسة اللغة لا بد أن نرجع إلى الأدب، وربما إلى الفلسفة أيضا حيث أن الفلسفة قد تكتب أدبا، وهذا ما عمد إليه نيتشه في كتابه هكذا تكلم زرادشت، عن طريق تغليف فلسفته وتقديمه في أشكال أبدية لكنها ناقدة ومتمردة وداعية إلى التمرد.

أ/ نقد الأخلاق التقليدية:

لا جدال في أن الفلسفة هي دعوة للنقد والتجاوز والمرور من خطاب إلى خطاب ومن فكرة إلى فكرة ومن تفسير إلى تفسير، وفي كل مرة تصبح أسئلتها أكثر استفازا وتصبح أجوبتها أكثر قدرة على استجلاب أسئلة جديدة، وذلك عن طريق النقد اللاذع والدعوة إلى الصدام والتصادم مع كل ما هو موجود وسائد، وهذا ما اشتغل عليه نيتشه في معظم اعماله، أي النقد والدعوة إلى النقد، حيث يقول: "عليك ان تصلي نفسك كل يوم حربا، وليس لك ان تبالي بما تجنيه من نصر أو تجني عليك جهودك من اندحار، فإن ذلك من شأن الحقيقة لا من شأنك" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2014، صفحة 12) أي أن التعبير عن الرأي وقول الحقيقة أهم مما سنجنيه أو نخسره، حيث لأن همتها هي قول الحقيقة حتى وغن ل ترق لأحد او للجميع، حتى وغن خرجت عن المؤلف وهذا ما يصف به نيتشه كتابه هكذا تكلم زرادشت حيث يقول: "كتابي للجميع ولغير أحد، مقطوعة شعرية، إنجيل خامس أو أي شيء آخر لا يوجد له اسم بعد: إنه أكثر مؤلفاتي جدية وجرأة، وهو في متناول الجميع..." (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 15) وربما الجرأة التي يتحدث عنها نيتشه تكمن في نقد الدين بطريقة لاذعة وداعيا إلى تجاوزه تماما وكتابة إنجيل أرضي يكتبه الإنسان ليعبر فيه عن هموم الإنسان وعن رغباته وما يحب دون الحاجة إلى أن يعود إلى مصدر متعال،

"فكلمة فلسفة ومن خلال مفهوم philein الذي يعني أحب ووقع في الحب ورغب في" (ليوتار، 2017، صفحة 24) وهي النزعة التي سيطرت على نصوص هكذا تكلم زرادشت، حيث يشعر القراء وكان نيتشه يقدم له الفلسفة حسب ما يرغب نيتشه وحسب ما يهوى، وهو يريد منه تجاوز الواقع ونقده والتمرد عليه حسب ما يريد هو أيضا، وبذلك فلسفة نيتشه التي تشير إلى العقل الصرام ما هي إلا رغبة ومحبة صادر عن قلب قد كره واقعه ويريد أن يبني واقع جديد أهم شيء فيه أنه يحبه ويميل إليه.

فنيتشه ينتقد الأخلاق المسيحية التي يصفها بأنها قائمة على "أخلاق العبيد"، والتي تمجد التواضع والتضحية. في المقابل، يدعو إلى أخلاق جديدة تحتفي بالقوة والإبداع. يقول زرادشت: إنني أعلمكم الإنسان الأعلى، الإنسان شيء يجب تجاوزه (نيتشه ف.، 2017، صفحة 35) يقصد الإنسان الديني الغنسان المنكسر أمام القوى الغيبية وهو في نفس الوقت يريد إنسانا جديدا إنسانا يبدو أسطوريا ويبدو وكأنه شخصية في قصة ما أو حكاية مان لكن في الواقع هو إنسان هذا العصر الذي إما ان يمتزج بالإله وإما ان يتجاوزه ويعلن حريته وتحرره من كل القيم القديمة والتعاليم القديمة والوصايا القديمة، ويصبح هو الكائن الوحيد والأوحد الذي تجتمع فيه كل القوون حيث يقول على لسان زرادشت: "... ولقنتم كل مسعاي وكل مبتغاي: أن اجمع وأوحد داخل كيان واحد كل ما كان شظايا ولغزا وصدفة فظيعة في الإنسان" (نيتشه ف.، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 386) وكان نيشته قد توصل إلى نموذج اكلم وأرفع من الإنسان وهو يريد تعميمه وفي نفس الوقت القضاء على الإنسان العادي أو الغنسان التقليدي المصاب بالدين وبالتقديس، فحسب نيشته ليس هناك قداسة بعد اليوم سوى قداسة الإنسان الأعلى الذي يعرف دون حاجة غلبة مصدر أعلى منه، وكأنه يقول بأن الأرض التي طالما كانت تتلقى المعارف من السماء أصبحت اليوم هي مصدرا للمعرفة المطلقة، ولذلك لا بد من تجاوز الإنسان القديم، الذي يُقدّم كحالة مؤقتة تحتاج إلى تجاوز.

وهذا ما يعكس دعوة فلسفية لتحرير الذات من القيم القديمة والسعي نحو تطور ذاتي، وهذا ما طغى على كتابات نيشته طيلة حياته فقد كان حالما بذات جديدة يكون هو المؤسس لها وقد حاول الترويج لها من خلال فكرة الإنسان الأعلى حيث مزج بين الفلسفة والأدب وربما هذا ما لم يرضي فقهاء اللغة الذين عبروا عن امتعاضهم من كتابات نيتشه خاصة بعد "صدور مؤلفه ولادة المأساة سنة 1871 طارحين سؤالا يكف يمكن للمرء ان يكتب كتبا مثل هذا؟ إنه ليس كتاب بحث جدي بقدر ما هو مجرد حدوس عمائية ميتافيزيقية..." (غرو، 2021، صفحة 17، 18) وهذا يشير إلى شخصية نيتشه الغامضة والمليئة بالصراعات، رغم دعوته إلى تجاوز الميتافيزيقا وكل ما هو غيبي لأن أنه يوظف في نصوصه خطابا غارقا في الميتافيزيقيا وكأنه يهرب من الواقع إلى اللاواقع وليجد القدرة والحرية على قول ما يخالط فؤاده وفكره، "فالذات

والموضوع يمكن أن يقدمان مقارنة سيئة عن الفكر" (دولوز، 1997، صفحة 99) فذات نيتشه المريضة والتي تعرضت لأزمات صحية وصدمات نفسية وذلك مشروعه التنويري النقدي ربما ساهم في تشكل فلسفته الفريدة التي تمزج بين الأدب والفلسفة فتبدوا أحيانا نصوص قصصية ولكنها تحمل في ثنيها بذورا فلسفية تتوافق مع عصر الذي كان يستشرفه نيتشه من خلال أعماله.

ب/ العود لأبدي:

العود الأبدي أو الخلود هو كل ما يسيطر على الأساطير وعلى الدين، فالكل يسعى لتحقيق هذه الغاية التي تنقله من طور الغنسان أو المخلوق إلى طور الإله أو الخالق، فلا يمن الحديث عن خلود الإنسان العادي، إلا إذا كان قد خالط شيسئا من العالمي العلوي واكتسب قدرة تحول بينه وبين الفناء، وهي فكرة نجدها حاضرة في اعمال نيتشه ومن بينها نص هكذا تكلم زرادشت، وربما هو خلود من نوع اخر أي خلود الغنسان الأعلى من خلال القيم التي ينادي بها ويؤس لها والعصر الجديد الذي سيكون عصر الإنسان العارف لا غيره، كما ان العودة الأبدي يشير إلى تلك الحياة السرمدية والمستمرة وهي غالبا حياة ما بعد الموت والانتقال إلى العالم الآخر، وهنا يمزج نيتشه بين السرد الأسطوري أو القصي ومشروعه الفلسفي الحالم بإنسان تستمر أفكاره وأراه إلى الأبد بغض النظر إن كانت تلك الأفكار شريرة أم خيرة، حيث يطرح نيتشه أحد أكثر المواضع الفلسفية عمقا وهي فكرة "العود الأبدي"، إذ يُسأل القارئ "ماذا لو أن شيطانا قال لك: هذه الحياة التي تعيشها وتريد أن تعيشها مرارا وتكرارا، ستعيشها مرة أخرى إلى الأبد؟ (نيتشه ف..، 2017، صفحة 268، 269) إن توظيف مفهوم الشيطان من قبل فيلسوف عرف بنقمتة على الدين وكل ادواته يشير بوضوح إلى الطرح الأدبي الذي حاول من خلاله نيتشه التعبير عن أفكاره، فمثلا هو لا يستخدم مفهوم الخلود الذي يعتبر فهوما دينيا وعوضه بمفهوم مبتكر من طرفه وهو العود الأبدي، وبذلك هناك حبكة دقيقة بين السردية الأدب وبين المشروع الفلسفي، وذلك ع طريق ابتكار المفاهيم وتوظيفها وهنا نعود إلى تلك الإجابة التي قدمها جيل دلوز حول ما هي الفلسفة حيث صرح بأنها هي عملية إبداع المفاهيم" (دولوز، 1997، صفحة 05) والفيلسوف الحاذق والعارف هو الذي ينجح في اختلاق مفاهيم يعبر بها عن مشروعه ويوظفها في الإجابة عن سؤاله الفلسفي.

فالطرح الفلسفي هنا يأخذ شكلا سرديا تخيليا، مما يجبر القارئ على التفكير في حياته واختياراته وكأنه جزء من القصة، فنيتشه ليس فيلسوفا عاديا، وربما هو الفيلسوف الوحيد الذي كان يكتب وهو يمشي وكأنه تواقا للحرية وباحثا عن الانعتاق من كل ما يحيط به، إذ يقول: "نحن لسنا من أولئك الذين يفكرون

فقط في خضم الكتب التي تنتظر فكرتها أن تولد من محفزات الصفحات، تتمثل روحنا في التفكير في الهواء الطلق، والمشي، والقفز، والتسلق، والرقص، ويفضل أن يكون ذلك في الجبال الوحيدة أو على شاطئ البحر، حيث السموات نفسها تغدو غارقة في التأمل" (غرو، 2021، صفحة 22) إن مثل هذه العبارات توحى بوجود ضرب من ضروب الأدب والذوق والمشاعر والشاعرية والفن وليست بنص فلسفي رصين، لكن يمكن القول بأنها فلسفة من نوع خاص كتلك التي أنتجها بوثيوس وهو يعد أيامه المتبقية في زنزانته، حيث تحول من رجل دين مسيحي شديد الإيمان إلى فيلسوف يوناني وثني وأخرج كل ما لديه من حس أدبي في شكل نص فلسفي أصبح يعرف بعزاء الفلسفة، حيث يجري التساؤل حول المادة الأدبية والأسطورية الكثيفة التي تخالط مواضيعه حيث "يبدو نصا قائما على الاسطورة ومندمجا بها يقوم بها ويسقط بها..." (بوثيوس، 2008، صفحة 310) وهو نفس الأسلوب الذي اتبعه نيتشه في مشروعه الفلسفي حيث يمزج بين واقعية النص الفلسفي وبين الكثير من الأساطير ويعيد توظيف مفاهيم دينية لكن بنكهة واقعية عقلية، فمثلا يعتبر الزواج نهاية ولكنه بداية في نفس الوقت بل هو السبيل إلى الأبدية حيث يقول: "فكيف لا احن إلى الأبدية ولا أضطرم شوقا إلى خاتم الزواج، إلى دائرة الدوائر، حيث يصبح الانتهاء عودة الابتداء... فكيف لا احبك أيتها الأبدية" (نيتشه ف..، 2017، صفحة 268) فالعودة الأبدي إذا عند نيتشه هو خلود الفكر لا خلود الجسد.

من خلال ذلك النقد اللاذع الذي قدمه نيتشه للتقاليد وغن صبح التعبير للدين وللإنسان الديني المستسلم للقوى الغبية، نفهم بان نيتشه لم يجد سبيل لصب جام غضبه من الدين ومن الإله سوى الانتصار لنموذج الإنسان الأعلى أو الكامل، الذي استقل عن الإله وأصبح قارا على العيش بمفرده ولذلك لم يجبد بدا من الاستعانة بالميتافيزيقيا اليونانية حيث أنصاف الآلهة وحيث الإنسان الخارق والقادر على صنع المعجزات ولذلك وظف الأسطورة ووظف الأساليب الأدبية السردية ليكتب حول مشروعه الفلسفي ويدافع عن أفكاره الجديدة وضمها الدين في شكله البكر لنقد الدين في شكله المكتمل، ولذلك دافع عن الخلود أيضا لكنه خلود الأفكار لا خلود الجسد، فالإنسان العالي بالنسبة له هو ند الإله والفلسفة هي ند الوصايا الدينية، كما هو الإله خالد ونصوصه خالد، كذلك سيتمتع الإنسان الأعلى بالعود الأبدي وستخلد نصوصه إلى الأبد.

2/ التكامل بين الأدب والفلسفة:

إن نصا مثل نص عزاء الفلسفة لبوثيريوس أو نص هكذا تكلم زرادشت يجعلنا نفهم بأن الأدب بكل صنوفه والفلسفة بكل إسئلتها مواضيعها هما عنصران متكاملان، فليس هناك نصوص أدبية أخاذة وقادرة على السيطرة على القراء إن لم تكن مفهومة بالفلسفة وبالفكر الراقى وبقدرة الكاتب على الدمج بين الواقع

وبين المتعالي وتوظيف عبارات تبدو أكبر من أن يقولها إنسان عادي، كما أن الفلسفة بدون أساطير وقصص وحكايات تبدو نصا شاحبا وغير قادر على الجذب والإغراء والإغواء، وربما ما يضمن القول بان الفلسفة والأدب يشتركان فيه هو الرمز، بكل حضوره وثقله وقدرته على اختصار الكلام وفي نفس الوقت صناعة الغزارة في المعنى ولذلك يستنجد الأدباء بالفلسفة وينهل الفلاسفة من الأدب، وكليهما ينشد الرمزية ويوظف الرمز، "ففعّل الرمز هو انتاج علامات لها معنى" (غودلي، 2017، صفحة 45) فالعلامات والأيقونات عندما يجري توظيفها في نص ما، مهما كان طابعه فإنه تجعل ذلك النص ثريا وخصبا وقابلا للحف والتفكيك والتنقيب في خباياه وثنياها، وهذا ما نجده في كتاب هكذا تكلم زرادشت حيث يعتد نيتشه على الكثير من الرموز والعلامات التي قد تبدو بسيطة لكنها تقول الكثير من الأشياء وبطريقة مختزلة وفي نفس الوقت طريقة تجذب القارئ وتعجّله يستخدم عقله، فنص هكذا تكلم زرادشت ليس نصا للقراءة فقط بل للتفكير، وتعلم حل الأحجيات والألغاز، وذلك نظير ما يحمله من ترميز وقدرة على استخدام العلامات، "فالرمز اوقعنا في اسره داخل شبكة لا مهرب منها لقد اصبحنا وسيلته التي ينشر بها ذاته في كل انحاء العالم" (دبلوديكون، 2017، صفحة 798) وهذا ما تفتن له نيتشه في نصه ولذلك راح يخاطبنا بلغة رمزية استطاعت ان تجمع بين متعة السرد الأدبي وبين عمق الطرح الفلسفي.

أ/ الأدب يجسد الفلسفة:

ليس هناك فلسفة دون نص، وليس هناك نص دون كتابة، وليس هناك كتابة دون لغة وليس هناك لغة دون أدب، فعندما نريد أن نكتب حول موضوع ما فلا بد لنا من أن وظف فنا من الفنون الأدبية، والفلسفة غالبا ما تعتمد على فن المقال، فالفيلسوف يكتب مقالا أدبيا لكنه عن طريق ما يضمنه فيه من معارف عقلية ومن حكمة فهو يحوله إلى نص فلسفي لكن رغم كل ذلك لا يمكن أن يتنكر ذلك النص الفلسفي لأصوله الأدبية أو أن يفرمها، وهنا نجد بعض اللغويين "يربطون نمو المفاهيم اللغوية بمفاهيم الافكار الدينية" (كاسيرر، اللغة والأسطورة، 2009، صفحة 55) وبما أن النص الديني يقابل النص الفلسفي من حيث الغزارة والثراء والقدرة على إنتاج المعرفة، فإنه يمكننا أن نقول بأن تطور اللغة يمكن أن يعود أيضا لتطور الفلسفة والفكر الفلسفي وجودة النصوص الفلسفية التي نكتبها، وربما بهذا ما وظفه نيتشه في نصه هكذا تكلم زرادشت حيث مازج بين الفلسفة والأدب وجعل منهما رافدين يكملان بعضهما البعض وبذلك ينتجان نصا غزيرا من حيث المعاني والرموز، فمثلا عندما يخاطب الحكماء/الفلاسفة في نص التغلب على الذات يقول لهم: "أنتم من أركب هؤلاء المسافرين الضيوف في القارب ومنحهم أبهة وأسماء مهيبة أنتم وإرادتكم يا صفوت الحكماء" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 225) فهو تشبيه يرمز فيه إلى

الحياة وشبها بالحبر وإلى الحكمة التي تصدر عن الحكماء ويشبها بالقارب وشبه الإنسان بالمسافر عبر البحر بكل أخطاره وبذلك هو محتاج إلى المعرفة والنجاة وهي بطبيعة الحال حكمة الفلسفة ومعرفة الفيلسوف.

لكن ما مميز نصوص هكذا تكلم زرادشت أنها كتبت بسردية أدبية وعمق فلسفي ربما لا يحسنه سوى فيلسوف من طراز نيتشه الذي نبذ التراث المسيحي الالهوتي واستدعى التراث اليوناني الوثني بكل حضوره الرمزي والأسطوري، حيث نجده يُوظف السرد والحوار لتجسيد أفكاره الفلسفية. على سبيل المثال، في قصة "الجمل، الأسد، والطفل" (نيتشه ف.، 2017، صفحة 48، 50)، ويعرض مراحل تحول الإنسان، وربما استعانة نيتشه بهذه الحيوانات وغيرها في نصوصه يعود بنا إلى شخصية زرادشت وهي الشخصية الرئيسية في هذا النص، وبطبيعة الحال هي شخصية فارسية ومتأثر بالنص الحكائي الفارسي، وهنا يمكن الربط بشخصية إسلامية وهي عبد الله بن المقفع وكتاب كليله ودمنة حيث تحدث فيه إسم عالم الحيوان لكنه قدم دروسا في السياسة والاجتماع والفلسفة منقطعة النظير، وهذا ما دأب نيتشه دأبه في نصه هكذا تكلم زرادشت، حيث نجد العديد من الحيوانات مثل العنكبوت، والتي مكن ان ترمز للقيود التي تكبل المجتمع القديم من وجهة نظر نيتشه، ونجد الأفعى التي تدل دائما على المكر والخدعة، ونجد أيضا الحمار الذي يشير إلى الحكمة والصبر وبلوغ الأهداف دون الكثير من الكلام، وبذلك فلسفة نيتشه هي أدبه وهي تشير أيضا إلى شخصيته المتمردة على واقعه المسيحي والساعية إلى واقع جديد يكون فيه الإنسان هو المبتدأ وهو المنتهى، فنيتشه يمثل نموذجا عن السخط الذي عبر عنه شوبنهاور أيضا وهو "ساخط ضد العصر الذي ليس فيه عظمة وتهيمن عليه الأخلاق اليهودية المسيحية، وضد صعود أفكار المساواة (الديمقراطية والاشتراكية) التي تغرق فيها الجماهير الذليلة، والتي تخنق عظمة الإنسان الحقيقية، عظمة الأطباء والمتفوقين، الذين يتأثرون بإرادة القوة" (دروتية، 2024، صفحة 94) فهو ضد كل شيء ومع سيادة الإنسان وحرية وبدون أي شكل من أشكال الوصايا.

الجمال: كما أن نيتشه قد وظف العديد من الحيوانات الأخرى وفيها الكثير من الرمزية والإحالة القوية إلى العالم الميتافيزيقي الذي اتخذ منه مرجعية ليبدل بمشروعه الفلسفي ويكتب حوله ويهر خصومه والمعجبين بهن حيث يتفوقون جميعا على أن شيء واحد وهو أن أعمال نيتشه في مجملها تشير إلى نوع من الميتافيزيقا وهي "ميتافيزيقا فنان، وهم يعترفون عن خيرا أو شرا أنه بمثابة منعطف في التاريخ الفكري صوب رؤية استيعابية للعالم" (سلوتردايك، 2022، صفحة 125) وبذلك هم يقرون بأن أعماله نادرة وغير مألوفة وجديدة مثل العصر الذي كنات أوروبا تتحول نحوه، عصر يريد أن يتخلص من الإرث الالهوتي المسيحي الذي يحمله كامل مسؤولية الإنبياء والتخلف ويستشرف عصرا يبدو أقدم من العصر المسيحي لكنه عصر كان فيه

الإنسان هو كل شيء، ولذلك هو يقتبس من شخصيات ذلك العصر أي العصر اليوناني ويوظف أساليبه في قول الحكمة عن طريق الحيوانات الخارقة، فنجد مثلاً يوظف الجمل كرمز للصبر والحكمة يرمز إلى الإنسان الذي يتحمل الأعباء ويعيش وفق القيم التقليدية، رغم قساوة البيئة والطبيعة التي تحيط به، ونجد أيضاً يوظف الأسد الذي يرمز إلى التمرد على القيم القديمة وإلى القوة وفرض الهيمنة بحكم القوة التي يشرعن من خلالها كل ما يقوم به، ويوظف أيضاً الطفل الذي يرمز إلى الخلق والإبداع بعد التحرر، حيث يصف الطفل بأنه تلك المرأة التي جعلت زرادشت يكتشف حقيقته، وهي شيطان بتكشيرة ساخطة (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 161، 162) وهنا نجد نيتشه يعتمد على الرمزية وعلى الأساليب الأدبية كالتشبيه وغيرها من أشكال البديع ليعبر عما في داخله من هموم فلسفية فكل تلك القصص الرمزية تجعل الفكرة الفلسفية حول تطور الإنسان ملموسة وسهلة الفهم للمتلقى والقارئ.

ب _ الفلسفة تعمق الأدب:

النصوص الأدبية في الكتاب ليست مجرد جماليات لغوية، بل هي تحمل أبعاداً فلسفية تجعل القارئ يتأمل معانيها. فكرة "موت الإله"، مثلاً، ليست مجرد تعبير درامي، بل دعوة فلسفية لإعادة التفكير في أسس الأخلاق والقيم العصر الذي كان نيتشه يستشرفه وربما كان خاصاً جداً في الكتابة حوله، فقد كتب بأسلوب أدبي خاسر وناقم في نفس الوقت و متمرد على كل تقاليد الكتابة في ذلك العصر، حيث يرى "ياسبرز بأن كييركيغور ونيتشه يعتبران الاستثنائيين الأعظمين والوجهين الأسطوريين الذين يقفان على عتبة الحداثة، وكان يرى أنه ليس بوسع أحد تجاهلها إذا ما أراد مواجهة العصر بروح من الحقيقة، لكن أيضاً لا أحد يستطيع أن يتخذهما مثلاً من دون أن ينتهي إلى عواقب وخيمة" (هرش، 2019، صفحة 397) وذلك بسبب الخصوصية التي كتبها نيتشه والنصوص التي انتجها وهاجس الإنسان الذي ظل موضوعه المفضل، أي كيف يحقق الخلاص للإنسان وهو خلاص من كل ما هو قديم وبالي، ولاهوتي والبحث عن إنسان جديد يكون أعلى ومنتجاً للأخلاق بنفسه دون حاجة إلى الوصاية عليه ودون حاجة إلى الوصايا أيضاً، فأن "تكون إنساناً عند نيتشه هو شيء ينبغي أن لا تكف عن تقبله ومحاولة تجاوزه في آن" (هرش، 2019، صفحة 400) فلا مفر من تقبل الإنسان بأنه إنسان، لكن لا بد من الفرار من فكرة أن الإنسان قاصر ويحتاج إلى مرشد أعلى منه، بل الإنسان هو مرشد نفسه بنفسه لا سيما في العصر الذي كان يراه نيتشه لكن معاصروه ربما كانوا غافلين عنه، ولذلك اعتبر "مرشداً لروح الحداثة" (سلوتردايك، 2022، صفحة 127) وملهماً بأفكاره الأكثر راديكالية وجذرية وتمرداً على الواقع.

4/أمثلة بارزة من الكتاب:

إن روح الترمد التي سكن نيتشه وجعلته يعيش حياة صعبة وملينة بالألم نجده أيضا تسكن مؤلفه هكذا تلکم زاردشت من خلال نصوص متمردة وتحمل بذور مشروع فلسفي ربما لم يجد طريقة للتعبير عنه سوى الاقتباس من الحضارات القديمة، وهي حضارات وثنية حيث يتقارب الإنسان مع الكائنات الفائقة أو الغامضة أو الإلهة التي غالبا ما كنت نصفها إنسان ونصفها كائن غامض لكنهما يكملان بعضهما البعض، وبذلك لم يكن الإنسان عاجزا تمام، بل كانت الإلهة بحاجة إلى الإنسان والإنسان بحاجة إلى الآلهة ولذلك اتخذ نيتشه من الأدب اليوناني والأدب الفارسي مرجعية للإعلان عن مشروعه، وهذا ما تجلى في كتابه هكذا تلکم زاردشت فنيتشه كان "تواقا إلى العصر اليوناني وتقييم التاريخ البشري بين فترتين عظيمتين ومتعارضتين: الأولى قديمة رائعة والأخرى حالية ومتفسخة" (دروتييه، 2024، صفحة 95) فهو يعتبر المسيحية التي عاصرها عبارة عن تعاليم ووصاية واخلاق بالية لم تعد تصلح ليعيش وفقها الإنسان الأعلى الذي يعتبره صلب وجهور مشروعه الفلسفي، ولذلك نجد يتحدث عن المواضيع ربما لم يسبقه إليها أحد، مثل:

أ/ "موت الإله: وهو أحد المواضيع التي طرحها نيتشه على لسان زرادشت الذي أعلن بكل جرأة عن موت الإله، إذ يقول: "لقد مات الإله، ونحن الذين قتلناه، نحن القتل الأعظم" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 40) هنا، يُقدّم هذا الإعلان بمزيج من التحدي والأسى، مما يجسد الصراع الداخلي للإنسان بين التحرر والخوف من الفراغ القيمي، فهو يرنو إلى تحرير الإنسان من الثقل الديني ولكن في نفس الوقت يريد لهذا الإنسان أن ينتج ثقلا أخلاقيا يعادل ويضاهي الثقل الأخلاقي الديني ويعبر عن ذلك من خلا عدة نصوص ووفق سردية رمزية مثل نص قبل بزوغ الشمس حيث يقول فيه مخاطبا السماء: "أنا لا أسبر أغواري إلا إذا سموت إلى عليائك ولا أشعر بطهاري إلا بما يجللني صفاؤك" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2014، صفحة 199) فهنا نيتشه يزيج الإله لكنه في نفس الوقت يتطلع إلى الهيمنة على مكانه وعلى سلطانه العالي، عن طري النظر إلى السماء والبحث عن طريقة للارتقاء.

ب/ الإنسان الأعلى: وهو النموذج أو البديل الذي اختاره نيتشه للتعبير عن تجاوز الإله إلى نوع آخر من مصادر الأخلاق والقيم وهو الإنسان الذي يجب أن يكون مبتغى كل إنسان ومنتهاه، حيث لا يكرر نيتشه سرية التطور والارتقاء بالمفهوم البيولوجي، لكن هو يدافع عنها ويكرس لها بالمفهوم الأخلاقي والفكري، فالإنسان يسير نحو الإرتقاء ويمكنه ان يرتقي عندما يتحرر فكريا من كل سلطة عليا، ولذلك نجد نيتشه يتجاوز الديني بالمعنى المسيحي ويحيي الميتافيزيقي بالمعنى الوثني وهذا ما يعبر عنه بفكرة "العودة إلى الميتافيزيقيا الغربية وهي مرحلة أرقى حسب نيتشه" (هيدغر، 2015، صفحة 65) الذي يتصور الإنسان على انه في رحلة مستمرة نحو التخلص من التقاليد والانفتاح على كل ما هو جديد وثوري ومترمد وهذا ما يعبر عنه على لسان

تلك الشخصية الأسطورية زرادشت، إذ زرادشت يصف الإنسان الأعلى كهدف للإنسانية: حيث يقول: "الإنسان حبل ممدود بين الحيوان والإنسان الأعلى - حبل فوق هاوية" (نيتشه ف.، 2017، صفحة 42) والصورة هنا تجمع بين البلاغة الأدبية والفكر الفلسفي، حيث يُجسد الإنسان ككائن في حالة انتقال دائم وتحول مستمر من الشكل الأدنى فكراً وهوة الشكل المكبل بالتقاليد والسير نحو الشكل الأعلى وهو المتحرر من كل التقاليد، ولذلك رغم الأسلوب الأدبي الذي غلب على وصف رحلة الإنسان في الإرتقاء إلا أنه أسلوب فلسفي أيضاً يقول الحقيقة بكل وضوح، وبكل صراحة حيث أن "الفيلسوف هو سيد الحقيقة، وهو الذي يستطيع بوضعه وبفكره ومركزه الوصول إلى المعرفة كاملة، وهي غير ممكنة للسواد الأعظم من الناس" (دورتي، 2009، صفحة 26) وربما هذا ما يجعل الفيلسوف متميزاً عن غيره فهو يعرف أكثر مما يعرف الناس بل أكثر مما ينبغي أن يعرف الناس ولذلك قد يقول أحياناً ما لا يفهمه الناس ولا يدركونه، أو قد يبدو لهم مجرد سرديات أدبية، لكنه يحمل في ثنياه مشروعاً فلسفياً كاملاً ومكتملاً.

ج/الجمال، الأسد، الطفل: وهنا ويواصل نيتشه التبشير بمشروعه الفلسفي عن طريق المزيد من السردية الأدبية والكثير من الرموز الذي جاء بها من التراث الحكائي الفارسي إذ تحضر الحيوانات بكثافة في النصوص التي يرويها زرادشت، حول كيفية يتحول الإنسان من خضوع أو الصبر والتحمل الذي يرمز إليه بالجمال، ثم الانتقال إلى تمرد والقوة والسيطرة والتي يرمز إليها بالأسد، ثم إلى خلق جديد، والاستمرارية والديمومة عن طريق الطفل الذي يولد وبذلك تتجسد فكرة العود الأبدي وحتمية كل نهاية هي بداية لحياة جديدة، وكل هذا يعبر عنه باستخدام ثلاث مراحل رمزية.، بأسلوب سردي أدبي، حيث يُعمّق الفكرة الفلسفية ويجعلها قصة ذات مغزى وجودي، ويحيلنا إلى إحدى فصول محاكمة سقراط حيث بعد أن صدر الحكم في حقه، هم بالخروج ثم التفت إلى قضاته وقال لهم: "لقد حان وقت فراقنا أنا كي أموت وانتم كي تحيون..." (دورتي، 2009، صفحة 24) لكن من يتتبع شخصية سقراط سيجد أنها هي التي بقت حية وتجاوزت الزمان والمكان بينما لم يذكر التاريخ حتى أسماء قضاته، وهنا نجد أن الرمزية والتلاعب بالمعاني ليس جديداً على الفلسفة أو من ابتكار نيتشه بل هي مسكونة به منذ الأزل، فمثلاً في نص عن العناكب الذين استخدمهم نيتشه ليصف ولينال من دعاة المساواة سواء الاشتراكيين أو الديمقراطيين، إذ يقول: "أيها المبشرون بالمساواة فما أنتم في نظري إلا مستودع لعواطف الانتقام" (نيتشه ف.، 2017، صفحة 125) وبذلك هو ليس ناقماً على الدين فقط بل هو ناقم من كل قيم مثالية مبالغ في المثالية، وهو يبحث في الواقع وعن الواقع، وذلك يرى هايدغر أن نيتشه عندما أعلن موت الله، لم يكن فريداً في عصره بل سبقه "كل هيجل حيناً عبر عن احساسه بأن الله نفسه قد مات، وكذلك من باسكال وبولتراك الذين صرح بموت الواحد الأعظم" (هايدغر،

2015، صفحة 69) وهي إشارة إلى أن الفلسفة الألمانية كانت مسكونة بفكرة تراجع حضور الله لدى المجتمع وهذا ما عبر عنه الفلاسفة الألمان خاصة في مرحلة شبابه، ولذلك لجأوا إلى الأدب الوثني اليوناني والفارسي للاستنجاد بما فيه من ميتافيزيقيا تجل من الإله كائنا قابلا للتجاوز والاختراق وللصراع مع كائنات أخرى قد يتغلب عليها وقد تتغلب عليها.

1/ وفي قصة الخطاب والصقر: نجد زرادشت/نيتشه يقص حكاية عن خطاب يجد صقراً مصاباً في الغابة. الخطاب يعالج الصقر لكنه يمنعه من الطيران. عندما يتحرر الصقر، يعود ليقول الخطاب. القصة تجسد فكرة التحرر والانتقام بشكل رمزي، حيث يرمز الخطاب إلى القيود الاجتماعية التي تمنع الإنسان من تحقيق إمكاناته بينما يرمز الصقر إلى الشجاعة والحرية (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 532). وهي تشير أيضاً لفكرة جهورية وهي أن الحرية لا يعوضها شيء وأن الصيد لا يقدم أي خدمة مجانية لطرائده، فهو يعتني بها ليحررها من حريتها ولذلك على الطريدة أن تقاوم وأن تنتقم بعد أن تتعافى من كل من حررها من الحرية التي ليس لها أي بديل، وهذا الخطاب في حد ذاته مشروع فلسفي من شأنه أن يحرك في الشعوب غريزة التمرد والثورة ولذلك نجد نيتشه في نص الناقية يصف كمالاته وأفكاره على أنها: "...لتفري عينيك وتزيحي عنهما النعاس وكل تبلد وعماء! لتسمعي بعينيك أيضاً: عن صوتي لدواء حتى للعميان من الولادة" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 407) وهنا دعوة صريحة إلى الثورة والتمرد وكسر كل التقاليد والمناداة بحياة جديدة حياة ستحكمها الشجاعة والقدرة على الرضا، حيث يتسأل نيتشه من هو الشجاع؟ ثم يجيب: "من يرى الهاوية لكن بعين الصقر، ومن يلمس قاع الهاوية بمخالب الصقر.. ذلك هو الشجاع" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 532) نيتشه هنا قدّم مفهوماً عميقاً للشجاعة، واستخدم استعارات للتعبير عن مفهوم الشجاعة الحقيقية وهذا يعني أن الشجاع هو الشخص الذي يمتلك رؤية حادة وواضحة للمخاطر والمشكلات التي قد تواجهه، تماماً كما يرى الصقر الفريسة من مسافة بعيدة بوضوح، الشجاع هو من يدرك حجم التحديات ويقدرها بدقة.

كما أن من يلمس قاع الهاوية بمخالب الصقر: ذلك هو الشجاع، يعني أن الشجاع ليس فقط من يرى الخطر بل أيضاً من يواجهه بجرأة وقوة، كما يهبط الصقر بمهارة على فريسته، فالشجاعة تكمن في القدرة على النزول إلى عمق المشكلات والصعوبات والتعامل معها مباشرة (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 532) والشجاع لا يكون متهوراً، بل يُقدر المخاطر حق قدرها ويستعد لمواجهةها وهو ما عبر عنه نيتشه (بعين الصقر)، فالشجاعة تتطلب التخطيط والفهم العميق للمواقف وبشكل عام الشجاعة ليست فقط في الإدراك العقلي للمخاطر بل في التصرف بحكمة وذكاء أيضاً، وفي القدرة على مواجهة هذه المخاطر

بجرأة وعزم، وهذا ما عبر عنه في نص آخر، عن الإنسان الراقى، عندما حذر من طرح أفكار مختلفة وثورية على مجتمع الرعاع وهو السوق حيث يقول: "مالي والسوق، ورعاع السوق وصخب الرعاع، والأذنين الطويلتين للرعاع" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007، صفحة 529) فنيتهشة يشير إلى أن الأفكار الجديدة يجب أن تطرح في الأماكن التي تتقبل الجديد، وعلى الأشخاص الذين يمكنهم فهم تلك الأفكار، بينما السوق ومنطق التساوي والغوغاء اللتان تحكمانه فلا مجال فيها لطرح الأفكار الجديدة والثورية.

2/ خطاب عن أصدقاء زرادشت: يمكن القول بأن أي خطاب أو فكرة يطرحها زرادشت هي في الحقيقة تعبير عن مشروع نيتهشة، ف شخصية زرادشت الفارسية الوثنية ما يه إلا السبيل الذي اهتدى إليه نيتهشة لطرح أفكاره الأكثر راديكالية، ولذلك ربما يكون زرادشت هو الصديق التخيلي الوحيد لنيتهشة وهو يكتب مشروعه الفلسفي، حيث طرح مشروعا أصاب الجميع بالدهشة، مشروع لا يدعوا إلى علمنة الحياة فقط، بل إلى تقبل فكرة تموت الإله، وهدم كل التراث المسيحي الذي اعتبره المسؤول عن فكرة المساواة والديمقراطية، ولذلك هو يبحث عن ثلة من الأصدقاء الأرستوقراطيين الذي سيساعدونه على هدم السائد وذلك يقول: "الديمقراطية هذا الجنون في إحصاء الأنوف وعدّها. يجب أن تنمحي قبل أن يفوتنا القطار... وإن أو خطوة في طريقنا هذه لهي تدمير المسيحية وذلك فيما يتعلق بجمع الناس الأرقى" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2014، صفحة 477) أي أن نيتهشة رغم عزلته ووحدته في آخر أيامه إلا أنه كان يرى بأن مشروعه نخبوي ويجب ان يعيننا عليه مجموعة من الأصدقاء الذين يؤمنون بما نؤمن به، ولذلك نجده في نص آخر في فصل كامل "عن الصديق"، يتحدث زرادشت عن أهمية الصداقة الحقيقية، قائلاً: "الأصدقاء الحقيقيون هم أولئك الذين يساعدوننا على أن نصبح ما نحن عليه" (نيتشه ف..، 2017، صفحة 139، 137) أي على بناء ذاتنا والاهتداء إلى طريق مشروعنا وأفكارنا وتحويلها إلى واقع.

وهنا نجد اللغة على بساطتها تحمل عمقاً فلسفياً حول العلاقات الإنسانية ودورها في تحقيق الذات، ولذلك يمكن القول بأن جزء مهما من فلسفة نيتهشة كانت تنتمي إلى أحد الأسئلة الأربعة التي تقوم عليها الفلسفة "وهو ما الذي ينبغي علي أن أفعله؟ حيث قد تكون الإجابة هي تحقيق الذات وفعل شيء في الحياة يمكن أن يكون تحقيقاً للذات" (دروتييه، 2024، صفحة 73) ولذلك يرى نيتهشة أهمية الصديق في حياة الإنسان وفي حياة الإنسان الأعلى أو الفيلسوف على وجه الخصوص، وربما كل الفلاسفة الكبار كان مشروعاتهم ثنائياً بين روحين عظيمتين تحملان هما واحداً وتناضلان من أجله، ولذلك يرى نيتهشة في الصديق أن الإنسان الأعلى أو "الناسك المتوحد دائماً يتحدث إلى نفسه وينحدر معها إلى الأعماق ولذلك تتوق انفس المتوحدين دائماً إلى صديق، وإلى الأعلى الذي يقف عليه الصديق" (نيتشه ف..، هكذا تكلم زرادشت، 2007،

صفحة 115) وكأنه يتحدث عن مرشد أو دليل يعين الفيلسوف ويخرجه من نفسه ومن بعض الأفكار التي قد تصيبه وقد تكون أخذة وبحاجة إلى من يدعمها وقد تكون مدمرة وتكون بحاجة إلى من يجمعها، وهذا ما يعتبره نيتشه المهمة والدور الذي يجب أن يعنى به صديق الفيلسوف شريطة أن يكون راقيا وتجسيدا لنموذج الإنسان الأعلى الذي يتمرد على كل شيء وهو مستعد ليدعم ويقف جانب كل فكرة متمردة.

5/ انعكاسات التكامل على القارئ (كخلاصة):

أ/ تجربة متعددة الأبعاد:

القارئ يتفاعل مع النص كعمل أدبي وفلسفي في آن واحد. الأسلوب الأدبي يجعله يستمتع بالجمال اللغوي، بينما تدفعه الفلسفة إلى التفكير في قيمه ووجوده.

ب/ التأثير الوجودي:

النص يدعو القارئ إلى مواجهة أسئلة وجودية مثل: من أنا؟ وما الهدف من حياتي؟ هذا المنهج بين الأدب والفلسفة يجعل النص تجربة تغييرية.

ج/ الإنسان الأعلى أو الراقى: النص يجعل القارئ يدرك بأن الإنسان لم يخلق ليكون تابعا فقط، بل خلق ليكون أيضا متبوعا وقادرا على الإبداع وقادر على التحرر من كل قيمة بالية وتشكل عائقا بينه وبين ما يصبو إليه.

خاتمة:

كتاب هكذا تكلم زرادشت يُجسد تداخل الأدب والفلسفة في أبهى صوره. الأدب يجعل الأفكار الفلسفية أكثر قربًا وحيوية، بينما تعطي الفلسفة للأدب عمقًا ومعنى يتجاوز الجمال اللغوي. عبر أمثلة مثل "موت الإله" و"الإنسان الأعلى"، يُظهر نيتشه كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتعبير الفلسفي والتأثير الوجودي العميق.

هكذا تكلم زرادشت ليس مجرد عمل فكري، بل تجربة إبداعية تكاملية بين الأدب والفلسفة. نيتشه، عبر أسلوبه الأدبي المبتكر، يحول الأفكار الفلسفية المجردة إلى صور حية وقصص نابضة. هذا التكامل يجعل النص ليس فقط نصًا للتفكير، بل أيضًا دعوة إلى الحياة، الإبداع، والتحول.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، تر: فيليكس فارس، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2017.
 فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت كتاب لكل ولا أحد، ترجمة فليكس فارس، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، بدون طبعة، 2014.

فريدريتش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، كتاب للجميع ولا لأحد، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة الأولى، 2007.

ب/ المراجع:

ارنيسست كاسير، اللغة والاسطورة، ترجمة سعيد الغنامي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، الطبعة الاولى، 2009.

أرنيسست كاسير، فلسفة التنوير، ترجمة ابراهيم أبو هشيش، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، 2018.

بوثيوس، عزاء الفلسفة، ترجمة عادل مصطفى، مرايا للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، 2008.

بول ريكور، بول ريكور، الذاكر التاريخ الانسان، ترجمة جورج زياتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبيان، الطبعة الاولى، 2009.

بول فولنر وتوماس سيمبسون، فلسفة الثقة اسهامات مميزة مطورة وتأسيسية، ترجمة مصطفى سمير عبد الرحمن، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2022.

بيتر سلوتردايك، أمزجة فلسفية من أفلاطون إلى فوكو، ترجمة جميلة حنفي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الاولى، 2022.

بيير أدو، الفلسفة طريقة حياة تدريبات روحية من سقراط إلى فوكو، ترجمة عادل مصطفى، الناشر مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، بدون طبعة، 2023.

تشارلي هيونيمان وأليكس سوجنج وكيم بانج، وآخرون، موت الفلسفة، ترجمة هويدة صالح، منشورات الربيع، مصر، الطبعة الاولى، 2023.

تيرنس ديبلو ديكون، الانسان اللغة الرمز التطور المشترك للغة والمخ، ترجمة شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الاولى، 2014.

جان فرونسو دروتيه، الفلسفة كلها في أربعة أسئلة، ترجمة محمد احمد طجو، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، الطبعة الاولى، 2024.

جان فرونسو ليوتار، لماذا نمتفلسف؟، ترجمة يوسف السهيلي، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الاولى، 2017.

- جان هرش، الدهشة الفلسفة لتاريخ الفلسفة، ترجمة محمد آيت حنة، منشورات الجمل، لبنان، بدون طبعة، 2019.
- جون دوي، إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الأولى، 2010.
- جون فرونسوا دورتي، فلسفات عصرنا تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها، ترجمة ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.
- جيل دلوذ وفليكس غتاري، ما هي الفلسفة؟، ترجمة مطاع صفدين المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 1997، ص 99.
- روحي غارودي، البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة جورج الطرابيشي، دار الطليعة، لبنان، الطبعة الأولى 1979.
- فراس سواح، الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الثانية، 2001.
- فريدريك غرو، المشي فلسفة، ترجمة سعيد بوكرامي، دار معنى للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، 2021.
- مارتين هايدجر، الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة محمد مزيان، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2015.
- مريس اولندر، لغات الفردوس اربون وسامريون ثنائي العناية الالهية، ترجمة جورج سليمان، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، الطبعة الأولى، 2016.
- موريس غودليه، المتخيل والمخيال والرمز، ترجمة غازي برو، دار الفرابي، لبنان، الطبعة الأولى، 2017، ص 45.
- نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الأولى، 2016.
- ولتر ستيس، والتصوف والفلسفة، ترجمة إمام عبد الفاتح إمام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، بدون طبعة، 2023.
- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، مصر، الطبعة الثانية، 1994.